اساس لكل علة»[٦٥].

ونظراً لاهمية الزراعة في حياة الريف الفلسطيني، وبغية انمائها، الف نجصار كتابة «الزراعة الجافة»، على اعتبار ان زراعات فلسطين بعلية، اذ لم تقم سلطة الانتداب بمشروع ري واحد. ونراه يعود لسياسة الانتداب الاقتصادية مناقشاً ومظهراً مساوئها فيقول: «فالضائقة الاقتصادية عامة طامة، وقد اصابت كل بيت وكل فرد من اهالي فلسطين، ما عدا الموظفين البريطانيين وبعض موظفي العرب الحاصلين على رضى البريطانيين». ويسأل: «اتستطيع ادارة المعارف ان تقول اليوم انها اخرجت لكم من مدارسها جيشاً من العاملين المدربين المسلحين بالمعرفة، يعملون لتعمير البلاد، وزيادة الانتاج، وتوفير الثروة؟» والجواب: «كلا، فان ما خرجته مدارس المعارف والارساليات والمدارس الاهلية معاً ليس سوى جيش من العبيد، يقفون على ابواب رؤساء الدوائر، يلتمسون الوظائف الكتابية بالرواتب الصغيرة فيتقيدون باوامر سادتهم، وجيش آخر من العاطلين عن العمل»[٦٦].

كان نصار يطمح الى تحرير الشباب من عبودية الوظائف والانتداب، فراح يشدد على الاهتمام بالزراعة وبضرورة تنميتها والعمل فيها: «يجب ان تجتمع كلمة الامة كلمة الامة على مطالبة الحكومة بمصرفين. واحد زراعي وآخر عقارية[٦٧].

وفي الخامس من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٩، كان قد مرّ على تأسيس «الكرمل» عشرون سنة، فيقف نصار مستعرضاً ماذا ادت «الكرمل» من رسالة قومية؟ والى اي مدى نجحت؟ فيقول: «قبل ٢١ سنة بدأنا نشعر بخطر الاستعمار اليهودي على فلسطين.. حَسِبنا ان الناس اذا انذرناهم بخطر الاستعمار اليهودي يستيقظون ويؤازروننا ويجمعون كلمتهم ويوحدون مساعيهم لاتقائه، بل لدفعه». ويظهر نصار بعض الغبطة لانه لقي تجاوباً من بعض المتعلمين، بعكس اصحاب النفوذ المنتفعين بالاكراميات، كما يعلن زوال اليأس الذي تغلب عليه بتشجيع البعض له مادياً ومعنوياً لتمكينه من اعادة اصدار «الكرمل» بعد الحرب الاولى. لكنه يعود للتذمر والتخوف من المستقبل، بسبب الزعامات التافهة التي انتقلت من احضان الاتراك الى احضان الانكليز، فيقول: «وهكذا اصبحنا بفضل زعامتنا، وبفضل خنوع الشعب واستسلامه لها، معرضين للامور التالية: ١ ـ خطر الاستعمار؛ ٢ ـ الخطر الصهيوني؛ ٣ ـ خطر هؤلاء الزعماء، وهذا الخطر الاخير اشد من الخطرين الاولين». وفي مراجعته للسنة المنصرمة، يعود للتذكير بالخطر الصهيوني خارج فلسطين «رأينا ان خطر الصهيونية غير منحصر في فلسطين فنبهنا الى ذلك السوريين والعراقيين والمصريين». واذ كان توجه اهل الريف للزراعة مبعث اطمئنان في نفسه فقد طالب بزيادة الاهتمام بها، لكن نقمته على السياسيين استمرت لانهم بقوا يعملون لمصلحتهم ويضرون بالمصير القومي، فعقد العزم على فضحهم بغية اسقاطهم[٦٨].

وهكذا اخذ يحث الشعب للثورة على هذه الزعامات المتخاذلة التي جرت على فلسطين الولايت: «امة تستسلم بلا قيد ولا شرط لنفر من عبدة الوظائف، ولا تسألهم عما يفعلون بقراراتها ومصالحها وحقوقها، ولا يمكن لحكومة اجنبية ان تحترمها وتراعي مصالحها وحقوقها، اذا كانت تلك المصالح لا تتفق مع اغراض الحكومة وسياستها»[٦٩].

ان اعداء الوطن الحقيقيين هم سماسرة بيع الاراضي، الذين يتصدرون المحافل متحدثين بالوطنية نفاقاً: «ماذا يمكن ان يكون من يعمل لنزع الاراضي من ايدي الوطنيين ليبيعها من خصومهم؟ ايمكن ان يكون زعيماً وشريفاً ومحترماً[٧٠].

وينقل نصار معركته مع اعداء الامة الى خارج حدود فلسطين فيقول: «من بعد الحرب ومن بعد تجزئة البلاد العربية، انقسم الذين لهم علاقة بفلسطين من اهالي سوريا الشمالية الى قسمين: القسم الاول باشر تصفية حساباته مع فلسطين... لم يفكروا ابداً في انهم اقتلعوا عشرات